



علي ترماخي ومؤلفاته

نيروزه محمود*

ملخص البحث

يدور الحديث كثيراً في الأوساط العلمية والثقافية حول أقدم عمل مكتوب باللغة الكردية، ويتردد في هذا السياق اسم علي ترماخي. لذا سعت الباحثة إلى تسليط الضوء على هذا الكاتب الكردي ومؤلفاته؛ من حيث الموطن الذي ينتمي إليه، والعصر الذي عاش فيه (أواخر القرن السادس عشر – بداية السابع عشر م)، وأهم ما نعرفه من المصادر عن شخصيته وحياته ومؤلفاته.

يركز البحث على توضيح مضمون مؤلفه الشهير "كتاب الصرف باللغة الكردية" بأسلوبه ومنهجه. وهو كتاب تعليمي يبحث باللغة الكردية في علم الصرف العربي، مع لمحات عن اللغتين الفارسية والكردية، ويُعد أقدم كتاب نثري باللغة الكردية، معروف حتى الآن. ولا شك في أن ذلك يعكس مدى اهتمام الكرد باللغة العربية منذ زمن مبكر. ويُظهر علي ترماخي في عمله هذا تمكناً في علم الصرف، وكفاءة في تعليمه؛ ولا سيما لمن لا تكون العربية لغته الأم. ولعلّه من المثير للانتباه خلوّ الكتاب من شواهد القرآن الكريم، رغم أنه مخصص للتعليم في مدرسة دينية إسلامية.

الكلمات المفتاحية: علي ترماخي، كتاب الصرف باللغة الكردية، علم الصرف العربي.

ABSTRACT

“Ali Teremakhi and His Works”

There is a lot talk in the scientific and cultural circles about the oldest written work in the Kurdish language, and in this context we hear the name of Ali Teremakhi. So the researcher seek to throw light on this Kurdish writer and his works, habitat, era (the late 16 century - beginning of the 17), and what we know from sources about his character and life.

The research focuses on clarifying the content of his famous work "Kitabus Serfi billughatil Kurdiyyeh" and his style and method. It is a book of education about the Arabic Morphology in Kurdish Language, with profiles of Persian and Kurdish Morphology. There fore it is the oldest book of prose in the Kurdish language, unknown until now. There is no doubt that this reflects the interest of the Kurds in the Arabic language from an early time. Ali Teremakhi shows in his work efficiency in education; especially to those who do not have Arabic as mother tongue. Perhaps it is interesting to observe the absence of evidence from the Koran, although it is dedicated to education in Islamic religious schools.

Key Words: Ali Teremakhi, Kitabus Serfi billughatil Kurdiyyeh, Arabic Morphology.

* مدرّسة في قسم اللغة العربية، المعهد العالي للغات الحيّة، جامعة ماردين
newroz1964@hotmail.com

مقدمة:

وضع العثمانيون في مطلع القرن السادس عشر الميلادي حدًا لامتداد النفوذ الصفوي الإيراني بعد انتصارهم في معركة جالدران (1514م)، وبدأت حقبة جديدة في تاريخ المنطقة الشرقية من تركيا، ازداد خلالها دور الكرد المتحالفين مع العثمانيين، وتكوّنت إمارات كردية مستقلة، امتدت من غربي بحيرة أورميا حتى ما وراء ملطية، ودامت حتى أواسط القرن التاسع عشر (1847 م).¹

أدى ذلك إلى حركة تنويرية بين الكرد، ونشأت مدارس دينية إسلامية ملحقة بالمساجد في كثير من المدن والبلدات، وكان يدرس فيها آلاف الطلبة (فقه feqe، فقيه)، ولها مناهج تعليمية عميقة في مستواها المعرفي، وشبه موحدة في جميع المدارس، شملت قراءة القرآن الكريم وفهمه، وكتب علوم الدين العربية، وقواعد اللغة العربية ومصادر التراث العربي. وكانت في الغالب متوناً وشروحاً وحواشي مشهورة آنذاك.² وبدءاً من أواخر القرن السادس عشر الميلادي بدأت تظهر بعض الرسائل والكتب المكتوبة باللغة الكردية (الكرمانجية) والحروف العربية، صنّفها متخرجون في تلك المدارس، ومعلّمون فيها، ويعدّ " كتاب الصرف باللغة الكردية" لـ "علي ترمّاخي" أقدم ما عُرف منها حتى الآن.

1. موطنه:

يتضح من نسب المؤلف أنه من أهالي ترمّاخ (التي تسمى حالياً بالتسمية التركية يايلا كوناك (Yaylakonak)، وهي قرية تتبع مدينة مّكس (التي تسمى حالياً بالتسمية التركية بهّجه سراي (Bahçesaray)، وتبعد عنها مسافة 18 كم في الجهة الجنوبية الغربية، قرب الطريق نحو بلدة هيزان.³

تقع ترمّاخ في المنطقة الجبلية الوعرة جنوبي الساحل الجنوبي الغربي من بحيرة وان. وقد كانت قرية عامرة كبيرة، يعيش فيها الأرمن والكرد، ولكن سكانها كرد حالياً، ولا يزيد عددهم عن نحو ألف نسمة. تضم آثاراً باقية من دير أرمني، وفيها مزار إسلامي يُعرف بمزار الصحابة الثمانية عشرة، يقيم الناس عنده احتفالات دينية تدوم ثلاثة أيام في شهر حزيران من كل عام، ويتم خلاله توزيع الحليب على الفقراء.⁴

¹ للاستزادة عن تاريخ الإمارات الكردية؛ راجع:

شرف خان البديسي، شرفنامه، ترجمة محمد جميل الملا أحمد الروزيباني، دار المدى للثقافة والنشر، ط 3، دمشق، 2007.
Evlıya Çelebi, *Seyahatnamesi*. Tevfik Temel Kuran – Necati Aktaş (Ed.), 10 cilt, Üçdal Neşriyat, İstanbul, 1975-1983.

Martin van Bruinessen, *Kurdistan in the 16 th and 17 th centuries, as reflected in Evliya Çelebi's Seyahatname*. The Journal of Kurdish Studies 3, 2000, p. 1-11.

² للاستزادة عن المدارس الدينية الإسلامية في المناطق الكردية الشمالية؛ راجع:

Zeynelabidin Zinar, *Xwendina Medresê*. Pencinar, Stockholm, 1993. -

- Şakir Epözdemir, *Medreseyên Kurdistanê*. Nûbahar, İstanbul, 2015.

³ لم نستطع معرفة معنى الاسم ترمّاخ وأصله، ويرجح أنه أرمني. أما الاسم (مكس) فتلفظ الميم فيه بالضم غالباً، وبالكسر أو الفتح أحياناً. ويعتقد أن أصله روماني؛ معدل عن الاسم Moxoene الذي أطلقه الرومان على مقاطعة كانت مكس مركزاً لها. راجع:

İ. A. Orbelf, *Li Muksê Folklore û Jiyana Rojane*. Amadekar: Sinan Hakan, Wergera ji Rûsî: Têmrê 82, İstanbul, 201, r. 6. Xelîl, Nûbihar:

⁴ أقادنا بهذه المعلومات أحد طلبتنا من أبناء المنطقة، يدعى Erol Şaybak، وهو طالب في السنة الرابعة من قسم اللغة الكردية في جامعة ماردين.

أما "مكس" فهي أصغر ناحية من النواحي التابعة لولاية "وان"؛ من حيث المساحة وعدد السكان، ويبلغ عدد سكانها - بحسب الإحصاء الرسمي 2013 م - نحو 17 ألف نسمة، وتبعد عن مدينة وان مركز الولاية نحو 85 كم، ولكن الوصول إليها يحتاج إلى حوالي ساعتين من الزمن، بسبب صعوبات الطريق. ينبع بالقرب منها نهر مكس الذي يخترق وسطها، ويتجه جنوباً، حتى يرفد نهر بوطان الذي يصب في نهر دجلة قرب جزيرة (ابن عمر).

ما تزال تلك المنطقة حتى زماننا غير وثيقة الصلة بالعالم الخارجي، بسبب تضاريسها الجغرافية المعقدة، ومناخها القاسي في فصل الشتاء الطويل. ولعل ذلك هو السبب في الجهل بها، وندرة أخبارها في كتب الجغرافيين والبلدانيين القديمة، إذ لم نجد لها ذكراً في غير كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت. 297 هـ / 892 م)⁵، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي (ت. 622 هـ / 1225 م)⁶، والحديث عنها في كلا المصدرين عام، يرد في سياق أخبار توجّه الفتوحات الإسلامية نحو أعماق أرمينية.

أما أوليا جَلبي صاحبُ سِيَاحَتِ نَامِهِ (ت. 1094 هـ / 1682 م) فقد تنقّل في بلاد الكرد، بعد عصر علي ترمّاخي بزمنٍ قصير، ولكنه لم يمر في رحلته الشرقية نحو مدينة وان (سنة 1655-1656 م) بمناطق مكس، بل التف من بدليس إلى وان بموازية الساحل الشمالي لبحيرة وان.⁷

وفي العصر الحديث كان المستشرق الجورجي يوسف أوربيلي Iosif Orbelli (1887-1961 م) مؤسس قسم الدراسات الكردية Kurdology في جامعة بطرسبورغ الروسية، أحد أبرز المهتمين بجمع التراث الشعبي الأرمني والكرد في مناطق وان ومكس. فقد سافر في تموز سنة 1911م إلى هناك لدراسة اللغة والثقافة والفنون الأرمينية، والاطلاع على وضع المخطوطات في الأديار. وأقام شهوراً في مكس التي كان يحكمها الأمير مهدي الله بك Muhtila Beg آنذاك، ودون خلال ذلك نصوصاً شفوية من التراث الشعبي، وتكوّن لديه انطباع إيجابي عن حسن التعايش وعلاقات الجواربين الكرد والأرمن. وقد تم نشر تلك النصوص بعد وفاته (1982 م)، ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة الكردية (2011 م).⁸

كما تجدر الإشارة إلى شهرة مكس بمدرسها الدينية المعروفة باسم مدرسة مير حسن ولي، وبشاعرها فقّي طيران Feqiyê Teyran (1563-1632/1631 م) الذي يعد أحد أعمدة الشعر الكردي الكلاسيكي الثلاثة؛ إلى جانب ملاي جزيري Melayê Cizîrî وأحمد خاني Ehmedê Xanî. وتاريخ حياة فقّي طيران لا يدع الشك في أن علي ترمّاخي كان معاصراً له، ولكننا - مع الأسف - لا نملك مصادر تشير إلى تعارف أو لقاء بينهما.

⁵ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان. تحقيق عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص 281.

⁶ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، 1993م، ص 180.

⁷ أوليا جَلبي، سياحت نامه، ج4/5. نقل عن:

Martin van Bruinessen, *Kurdistan in the 16th and 17th centuries as reflected in Evliya çelebi's Seyahatname*. The Journal of Kurdish Studies 3, 2000, 1-11.

İ. A. Orbelli, *Li Muksê Folklore û Jiyana Rojane*. 7f. ⁸

2. عصره:

إن الأساس الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في تحديد عصر المؤلف هو تاريخ تأليفه كتابه في الصرف، وقد ورد ضمن المقدمة التي كتبها ملا محمود بايزيدي لدى استنساخه الكتاب سنة 1274هـ/ 1857-1858م، حيث يقول بايزيدي: **ليكن معلوماً لديك أن الطلبة والفقهاء الأكراد كانوا حتى تاريخ السنة الألف يستنبطون ويستخرجون علم الصرف من كتب عربية العبارة، مثل كتاب سعد الدين تفتازاني بعد ذلك التاريخ، وفي قرية تسمى ترماخ التابعة لقضاء مكس، من أقضية هكاريان، برز اسم علي..... إلخ.**⁹

وهو يقصد السنة الألف وفق التاريخ الهجري، وهي توافق سنة 1591/1592م. وثمة إشارة واحدة ذات دلالة تاريخية مفيدة وردت في كتاب ترماعي، تؤكد التاريخ الهجري؛ أعني إشارته إلى سعد الدين التفتازاني في الفصل الذي يبحث في الحروف؛ إذ يقول: **الخلاصة: إن البحث في الحروف واسع، ولكن هذا القدر كافٍ للمبتدئين. لتحفظ هذا، ثم تكون دراستك لها في كتب الصرف لسعديين تفتازاني ميسرةً، وتفهم كنهها وماهيتها.**¹⁰

ونعلم أن سعد الدين التفتازاني¹¹ عاش في القرن الرابع عشر الميلادي (ت. 791-792هـ / 1390م)، أي بعد مضي السنة الألف الميلادية بنحو أربعة قرون، ويؤكد هذا أن المقصود هو التاريخ الهجري لا الميلادي.

لا تتوافر بين أيدينا قرائن جلية يمكن أن تساعدنا في تحديد دقيق لفترة حياته، ومعرفة فيما إذا كان أنجز مؤلفه في أواسط حياته أم آخرها، ولكن إشارة بايزيدي إلى أن ترماعي " تنقل زمناً طويلاً بين بغداد والموصل وبهدينان وسوران، وأقام فيها، ودرس.... " ترجح أن يكون استقراره في قريته، والتفرغ للتدريس في مدرستها التي أنشأها بجهوده، ومن ثم قيامه بتأليفه كتابه في الصرف، قد تمّ في الشطر الثاني من عمره الذي نحّمه تقديرياً بما بين 1550-1625م.¹²

ومن الغريب أن الدكتور معروف خزّنه دار الذي نسخ مخطوطة بايزيدي للكتاب، ونشرها في بغداد سنة 1971م، قام بـتثبيت "القرن السابع عشر للميلاد" على غلاف كتابه. وتجاهل بذلك أن ترماعي لا بدّ قد عاش فترةً خلال القرن السادس عشر م أيضاً، لعلها الفترة الأطول من حياته، ونعتقد أن الكتاب نفسه يعود إلى أواخر ذلك القرن. وقد تبعه كثيرون في ذلك. ونرى أن الصواب يقتضي ذكر القرنين لدى التأريخ له (القرن 16-17 الميلادي).

⁹ معروف خزّنه دار، على ته ره ماخي: دستورى زمانى عه ره بى به كوردى، چاپخانه ى دار الزمان، به غدا، 1971، ص 25.
¹⁰ المرجع نفسه، ص 44.

¹¹ تجد ترجمة التفتازاني في: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1965، ص 391. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربية. ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق 1993، مج3/849. يوسف البان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة. ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، 1/635.

¹² ذهب كثير من المهتمين بالتراث والتاريخ الكردي إلى تأريخ زمن علي ترماعي بالقرن العاشر الميلادي رغبةً في تأكيد القدم، من دون دليل. راجع مثلاً:

Sureya Beder-Khan, *La Littérature Populaire et Classique Kurde*. Paris, 1936.
محمد أحمد أحمد، أكراد الدولة العثمانية، تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1880-1923م. منشورات سيبيريز، دهوك، 2009م، ص 528.

3. شخصيته:

لم نجد ترجمة لعلّي ترمماخي في كتب الأعلام والتراجم والأعيان المعروفة، المدونة بالعربية أو الكردية. ولم يأت على ذكره معاصروه من الأدباء الكرد. ولذلك فإننا نجهل شخصيته، ونرجح أنه كان شخصية محلية، اشتهرت في نطاق ضيق. وربما كان منزعلاً، لم يعقد صلات واسعة، بل تفرغ لخدمة أبناء قريته الجبلية بتعليمهم علوم الدين. ولعل وعورة منطقته الجبلية وانقطاعها عن العالم الخارجي كان له دور في ذلك.

وثمة أخطاء تتعلق بشخصيته وكتابه تحتاج إلى توضيح وتصحيح، وردت بادية الأمر في مرجعين؛ كما يبين معروف خزنة دار¹³، ثم انتشرت هنا وهناك، وهي:
ولد علي ترمموكي سنة ألف ميلادي، وهو واضع الصرف والنحو الكردي.¹⁴

علي ترمموكي شاعر كردي من القرن العاشر الميلادي، وضع قواعد اللغة الكردية.¹⁵

فصيغة نسبته (ترمموكي) ليست صحيحة، تعتمد على نقل خاطيء من مصدر غير مذكور في المرجعين. وهو من القرن العاشر الهجري/ 16-17م، والرقم ألف لا يشير إلى ولادته، بل إلى تاريخ تأليفه الكتاب. ولم يُعرف له شعرٌ، كي يُوصف بالشاعر. كما أن ما أورده في كتابه عن اللغة الكردية لا يستحق أن ينال به لقب واضع صرفها ونحوها، أو قواعدها؛ لأنه إشارات سريعة قصيرة وقليلة إلى بعض جوانب اللغة الكردية، عرضها للمقابلة ولغرض تسهيل تعليم الصرف العربي للطلبة الكرد المبتدئين.

ولعل مصدر الخطأ هو ما دونه ألكسندر جابا Alexandre Jaba باللغة الفرنسية على غلاف المخطوط المحفوظ، للتعريف به، وهو:

"Grammaire Kurde par Ali Teremakhi. Offerts à l'academie Imperial des sciences à St. Petersburg par A.Jaba."

وترجمته: قواعد اللغة الكردية لعلّي ترمماخي. مقدّم من أ. جابا إلى الأكاديمية الإمبراطورية للعلوم في سانت بطرسبورج.

حقيقة الأمر المشكل هي لولا جهد ملا محمود بايزيدي في نسخ كتاب ترمماخي لظلّ ترمماخي شخصاً مجهولاً. ولعل التساؤل الذي يثير الاهتمام، ويصعب الجواب عليه هو: من أين وكيف حصل بايزيدي على المخطوط، وبينهما مدة زمنية تبلغ قرابة ثلاثة قرون، وهما من منطقتين جغرافيتين مختلفتين ومتباعدتين نسبياً (مكس، بايزيد، أرضروم)، ولم يكن التواصل آنذاك أمراً سهلاً؟

4. مؤلفاته:

نقرأ عن مؤلفاته خبراً وحيداً، ذكره قناتى كردو Qanatê Kurdo نقلاً عن كتاب ألكسندر جابا.¹⁶ جاء فيه: كتب (علي ترمماخي) بالكردية Qewlê Yekane "القول الوحيد"،

¹³ معروف خزنة دار، علي ترمموكي: دستورى زمانى عه ره به كوردى. ص 16.

¹⁴ بله ج شيركو، القضية الكردية. ماضي الكرد وحاضرهم. القاهرة، 1930.

¹⁵ ماركيت لوسي بول (ك.أ.ب)، دراسة في الشعر الكردي. ترجمة رفيق حلمي، بغداد، 1939. [صدر في باريس سنة 1937].

¹⁶ Aleksandre Jaba, Recueil de Notices et Recits Kourdes, Petersburg, 1860.

Jiyîna Heqîqet " أبناء الوطن"، Morîya Yaqut " عقد الياقوت"، Xewn e " الحياة الحقيقية حلم"، Kurdî " Serf û Nehwa " الكردية والصرف والنحو الكردي".

ثم يعلق عليه بالقول: ولم تصل نسخ مخطوطاته تلك إلى أيدي الباحثين للبحث فيها، ما عدا المخطوط الوحيد المعروف " قواعد الكردية والعربية" الموجود في مكتبة سالتيكوف- شدرندانين في لينينغراد.¹⁷

وهكذا يتضح لنا مدى الخلط في المعلومات المتعلقة بشخصية علي ترمأخي وعصره ومؤلفاته لدى الباحثين الأوائل في الدراسات الكردية، وقد استمر ذلك حتى عصرنا. إن آثاره التي نعرفها حالياً تتمثل في كتابين أو رسالتين، هما:

4-1 كتاب الصرف باللغة الكردية:

كان المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي V. Minorski أول من أشار إلى علي ترمأخي وكتابه هذا سنة 1927م، وذلك ضمن بحثه عن الكرد وكردستان المنشور في الموسوعة الإسلامية.¹⁸

وتحدثت عنه مارجریت رودينكو Margrit Rudenko - الباحثة في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية في لينينغراد - ضمن مقالة لها، نشرت سنة 1957م. ووصفته ضمن كتابها " وصف مجموعة المخطوطات الكردية في لينينغراد" الصادر سنة 1961م.

لفت ذلك انتباه الطالب الكردي العراقي معروف خزنة دار طالب الدراسات العليا في المعهد نفسه، بين 1960-1968 م، واهتم بالبحث عن المخطوط المحفوظ في المعهد بالتصنيف الرقمي (C 1958) والاطلاع عليه. فتم له ذلك، وحصل على نسخة مصورة عنه.

بعد عودته إلى بغداد، وعمله مدرساً للأدب الكردي في جامعتها، نبّه إلى أهمية المخطوط في مقالة موجزة، نشرها بالكردية (الصورانية) في بغداد، سنة 1970م. ثم نشر المخطوط كاملاً، ووضع له مقدمة موسعة؛ إضافة إلى مقدمة ناسخ المخطوط ملا محمود بايزيدي، وألحق به مسرداً وجيزاً توضيحياً لمعاني ألفاظ مختارة من المخطوط، يعتقد الباحث أنها ربما تحتاج إلى شرح. جاء كله في ستين صفحة، وصدر في بغداد سنة 1971م.¹⁹

ويصف خزنة دار المخطوط بأن حجم صفحاته هو 25×19 سم، ولكن القسم المدون عليه هو 20×11 سم. وقد حرر الناسخ في كل صفحة سبعة سطور فقط، وهي بالحبر الأسود، عدا عنوانات الفصول الجزئية التي حررت بالحبر الأحمر. وقد استخدم الناسخ بايزيدي

¹⁷ Qanatê Kurdo, **Tarîxa Edebyeta Kurdî**, I. Weşanên Roja Nu, Stockholm, 1983, p. 16.

¹⁸ V. Minorski, **Kurd**, The Encyclopaedia of Islam, Vol. II, London, 1927, pp. 1130-1155.

¹⁹ معروف خزنة دار، عه لى ته ره ماخى: دستورى زمانى عه ره به كوردى.

خط الرُقعة في كتابته، وثبّت علامات الترقيم؛ ولكن بشكل غير مطّرد.²⁰ ولم يذكر خزن دار عدد أوراق المخطوط، ولكن يمكن اعتماداً على ما سبق تقديرها بنحو تسعين ورقة.

أما العمل التالي المتعلق بالكتاب فهو: (رشيد فندي: علي الترمّاحي أول لغوي وناثر كردي. بغداد 1985م). إنه يقع في سبعين صفحة، لم يضاف فيها المؤلف جديداً إلى جهد خزنة دار، بل سعى إلى مناقشة بعض الجوانب المتعلقة بشخصية ترمّاحي وكتابه وتفصيلها؛ ولاسيما التي بيّن خزنة دار خطأها من قبل، وشرح أسباب حصولها. كما أعاد نشر مقدمة بايزيدي، والجزء الأخير من الكتاب المتعلق بصرف اللغتين الفارسية والكردية؛ وذلك وفق أسلوب الكتابة الكردية - العربية المستخدمة في كردستان العراق.

ولعل أكثر ما يهم رشيد فندي في هذا الجهد هو تأكيد ما وصف به ترمّاحي في عنوان كتابه " أول لغوي وناثر كردي". وقد عدّ جهد ترمّاحي تعبيراً عن روحه القومية، وحرصه على تعلّم الطلبة أبناء جلدته. وهو يرى في الأمثلة الكردية التي أوردها ترمّاحي بداية التفكير في وضع كتاب لقواعد الكردية في ذلك التاريخ المبكر.

أعتقد أن ثمة مبالغة في الأمر، وأن هدف ترمّاحي كان علمياً تعليمياً خالصاً، ولا يجوز التأويل بنباتٍ قومية كردية، بل إن أساس الكتاب وموضوعه الرئيس هو صرف اللغة العربية.

أما القول بأنه أول من كتب النثر باللغة الكردية فهو صحيح؛ إذا ما ميّزنا النثر العلمي المعرفي؛ الذي صاغ به كتابه، عن النثر الفني الأدبي الذي لم يظهر لدى الكرد إلا في زمن متأخر جداً، قبل عقود معدودة.

4-1-1- تعريف الكتاب:

يمكن تعريف "كتاب الصرف باللغة الكردية" لعلي ترمّاحي، بأنه مخطوط في الصرف، يتحدث في قسمه الأكبر عن الصرف العربي، وفي قسمٍ قليل عن صرف اللغة الفارسية والكردية، على سبيل المقارنة والتسهيل. ألفه علي ترمّاحي في أواخر القرن السادس عشر الميلادي بلغته الكردية (اللهجة الكرمانجية)، لتعليمه في مدرسته في قريته " ترمّاخ" قرب "مكس" بولاية وان، وكذلك في المدارس الدينية الإسلامية في بلاد الكرد (الشمالية) عامّة.

4-1-2- الغرض من تأليف الكتاب:

يؤكد المؤلف في مقدّمة عمله أهميّة علم الصرف، وضرورة تمكّن الطالب فيه (كي يمارس التكلّم والتلفظ السليمين المستقيمين، ولا تتحقّق صحّة الكلام من دون علم الصرف). ومن الغريب أنه يصرّح عند ذاك بنبّته وضع كتاب في صرف اللغة الكردية، مع عرض أمثلة باللغتين العربية والفارسية، ولكنه في واقع الحال يقسم كتابه إلى قسمين؛ يخصص الأول لصرف العربية، وقد شمل القسم الأكبر منه، ويتحدث في الثاني عن

²⁰ المرجع نفسه، ص 13.

موضوعات من صرف اللغة الفارسية، يعرض في خواتم فقراتها ما يقابلها في اللغة الكردية. وبذلك نجد عكس ما نواه في البداية، وشكّلت الكردية جزءاً يسيراً من اهتمامه.

ويذكر في خاتمة ما كتبه عن الاسم في اللغة العربية أن غرضه هو تعليم الطلبة المبتدئين الكرد (كي يعرفوا قواعد علم الصرف (العربي)، ويطبّقوا تلك القواعد بقدر الإمكان في اللغتين الفارسية والكردية أيضاً، ويمارسوها قدر المستطاع. ثم يدرسوا علم الصرف باللغة العربية في أمّهات الكتب، ويفهموه. وثمة كتب مفصلة كثيرة في علم الصرف، ويمكن لهم أن يصيروا علماء فيه). فهو يدرك أن جهده موجز لن يفيد بالعرض تماماً، ولا بدّ من التوسّع في علم الصرف مستقبلاً.

كما أن ملا محمود بايزيدي ناسخ المخطوط يوضح أيضاً في مقدمته الغرض من تأليف علي ترمّاحي كتابه هذا. وهو يشيد - بشكل غير مباشر - بجهده، لأنه سهّل على الطلبة والفقهاء الكرد فهم علم الصرف؛ بعد أن كانوا يجدون صعوبة في ذلك لدى دراسته في الكتب العربية، مثل كتاب شرح تصريف الزنجاني المعروف بالعزّي لسعد الدين التفتازاني، وكتاب المغني في النحو للجاربردي، وكتاب حدائق الدقائق في شرح رسالة علامة الحقائق لسعد الدين البردعي. وهو يؤكد أيضاً أن الكتاب لقي القبول والاهتمام، وسدّ الحاجة المبتغاة لدى الطلبة الكرد.

وبذلك يتّضح أن الغرض من تأليف الكتاب كان تعليمياً خالصاً. ولهذا سعى المؤلف إلى أن يكون موجزاً بسيطاً مناسباً لمستوى الطلبة المبتدئين، وكتبه بلغتهم الأم (الكردية) وبلهجة مناطقهم (الكرمانجية).

4-1-3- منهج المؤلف:

إن المنهج الذي اعتمده المؤلف في كتابه تعليمي في غاية البساطة، حرص فيه على توزيع مباحثه الخاصة باللغة العربية - وهي ستة عشر مبحثاً - بحسب المنهج الشائع في المصادر؛ أي بحسب أقسام الكلمة الثلاثة (الاسم، الفعل، الحرف)، ولم يهمل الحروف على الرغم من أنها لا تنضوي في إطار الصرف.

أما المتعلقة بالفارسية والكردية فقد جاء ترتيبها مضطرباً (الفعل، الاسم، الاسم المشتق، النهي، الضمائر، الاسم)، وألحق بها ثلاثة مباحث تتعلق بالأساليب والنحو (النداء، الاستفهام، الإضافة)، وختمها بالحديث عن النسبة. ولذلك لا يمكن أن يكون هناك مصدر اقتدى به في منهجه هذا، بل هو ذاتي شخصي رآه مناسباً وكافياً للطلبة.

4-1-4- الأسلوب اللغوي والكتابية:

كتب المؤلف كتابه بلغة كردية دارجة في موطنه (جنوب غربي بحيرة وان)، ولم تكن الكردية مستخدمة في الكتابة قبله، ومن هنا تبرز أهمية عمله وريادته ضمن إطار تاريخ اللغة الكردية. وتمثّل لغته اللهجة الكرمانجية الشائعة في معظم المناطق الكردية في تركيا، وفيها ملامح لهجية أدقّ يستطيع المهتم باللّهجات أن يميز بينها؛ بحسب المناطق الجغرافية للناطقين بها. وهي فروق بسيطة لا تشكل عائقاً في عملية التفاهم.

ويبدو أن المؤلف حرص على أن يعرض مادته العلمية بأسلوب بسيط واضح، وابتعد عن استخدام الألفاظ الغريبة النادرة التي تظهر أحياناً في شعر معاصريه من الشعراء الكرد الأوائل، مثل ملاي جزيري وفقّي طيران. وأسلوب العرض لديه منطقي يقوم على مبدأ الاستنتاج، فهو يقدم المادة العلمية ملخّصة موجزة، ثم يلحق بها أمثلة تدلّل وتوضّح.

ويلاحظ في كتابته أنه سار على نهج خاص يُعرف بـ "الكردية - العربية - Kurdo-Arabîk"؛ أي كتابة النصوص الكردية بالحروف العربية. وقد استخدمت بعد عصر علي ترمماخي في جميع ما كُتب بالكردية من شعرٍ ونثر، ودامت حتى مطلع القرن الماضي، حيث بدأ استخدامها يقلّ رويداً رويداً، ويقتصر على ما يكتبه عدد من علماء الدين أو ناسخي المخطوطات القديمة، ثم سادت بين الكرد الكتابة اللاتينية بعد أن ابتدعها ونشرها جلادت بدرخان سنة 1932م، ودعا إلى اعتمادها في الكتابة.

والكتابة الكردية العربية هي عربية معدّلة في أشكال رسم بعض الأصوات اللغوية الكردية غير الموجودة في العربية (پ، ژ، گ، ف، چ)، وكذلك (ى) لكتابة الإمالة نحو الكسر؛ مثل: مفردى مذكري، علمى صرفى، وبدلاً من الياء أحياناً؛ مثل: كورمانجى، بزاني. كما تبدل الهمزة المتوسطة ياءً؛ مثل: طايفاً، وقد تبدل التاء طاءً؛ نحو: طشتك.²¹

إن استخدام المتنورين الكرد الأوائل هذا النمط الكتابي، والاهتمام بدراسة اللغة العربية وكتب علوم الدين الإسلامي، أدى إلى تأثير كبير جداً بالعربية؛ من حيث المفردات. ولذلك نجد أنه لا يكاد يخلو سطر واحد من وجود كلمات عربية، وجرى التصرف بقسم منها أحياناً لتبدو في صياغة كردية لا تخفي أصلها العربي. وتوضيحاً لذلك نعرض المقطع الأول من الكتاب المخطوط :

اعلم²² تو بزبان اى مفردى مذكري مخاطب كو ژ بوى طايفاً اكرادان را ژى لازمه كو بزمانى كورمانجى او ژ علمى صرفى بزنانن. لورا بنا واساساً حمو علمان لسر علمى صرفى يه. علم حسيبكه وكو ميزينه ژ بوى علوميد مايى را فنونيد به علم صرف تى نه وزناندين كو درست وغلطيا وى علمى وخبردانا وى كلامى راست ودرست بيه. لورا وكو طشتك نه ابته وزناندين كسك تمام وكيماسيا وى نزانه. بس وكو هابه واجبه كو مروف علمى صرف بزانه دا تكلم وخبردانا راست ودرست بيه.

4-1-5- الأمثلة والشواهد:

قدّم المؤلف أمثلة وافية توضح قواعد الصرف التي عرضها، وهي مأخوذة من الحياة العامة للكرد كي تكون قريبة من الأذهان؛ كالأسماء الشخصية الشائعة بينهم؛ مثل: حسن، يوسف، عبد الله، فاطمة، خديجة، عائشة، زينب...، وكذلك أسماء الذوات؛ مثل: قلّم، علّم، شجر، سيف، قوس، رمح... ومجموعة من الأفعال؛ مثل: سرق، قتل، ضرب، نصر، فعل، ركب، دحرج... ويبدو بعضها غريباً؛ كالأسماء: طلحة، أسامة، حبش.

Abdurrahman Adak, *Di Elifbêya Kurdî-Erebî de Rênivîsên Klasîk û Nûjen*, Mulemma 2, Mardin ²¹ Artuklu üniversitesi, 2013, 63-75.
²²الكلمات الغامقة كلمات عربية.

لم يأت بأمثلته ضمن جمل، ما عدا عدد قليل من الجمل البسيطة لدى الحديث عن الحروف، ولا بشواهد من القرآن الكريم أو الشعر؛ بخلاف كتابه الآخر عن التصريف. ولدى المقارنة بين الكتابين لم نجد بينهما تشابهاً جديراً بالذكر؛ من حيث الأمثلة والشواهد.

4-1-6- المصادر:

ليست هناك أية إشارة إلى مصادره، ولكن أسلوبه التعبيري يوحى بتأثره بكتاب تصريف العزّي الذي قام بإعداد شرح مطول نسبياً له في كتاب آخر. وهو يهتم بالقياس ويوجّه الطلبة إلى الاهتمام به.

4-1-7- مباحث الكتاب:

بدأ المؤلف عمله بمقدمة عامة بيّن فيها أهمية علم الصرف وتعريفه، وأهمية بيان مبادئه في اللغات الثلاثة معاً، ثم توقّف عند موضوع أقسام الكلمة وعرض بعد ذلك واحداً وثلاثين مبحثاً، سماها المؤلف فصولاً، وهي في معظمها قصيرة شديدة الإيجاز. ويظهر في عددها تناسبٌ بين المتعلقة بالصرف العربي من ناحية؛ وهي ستة عشر فصلاً، والمتعلقة بصرف اللغتين الفارسية والكردية من ناحية ثانية؛ وهي خمسة عشر فصلاً. ولكن مادة الصرف العربي تشكل نحو ثلاثة أرباع حجم الكتاب. وسنتناولها بشكل مستقل فيما يأتي.

- في الصرف العربي:

يمكن تلخيص موضوعات الصرف العربي في الكتاب على النحو الآتي:

- أهمية علم الصرف وتعريفه، وأقسام الكلمة.

- الاسم: فيه مقدمة وستة مباحث، هي: اسم العلم، اسم الكنية، اسم الجنس، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة.

- الفعل: فيه مقدمة وسبعة مباحث مستقلة، هي: الفعل اللازم والمتعدي، الضمائر المتصلة بالفعل، اسم الفاعل، اسم المفعول، الفعل المضارع، حروف الفعل المضارع وعلاماته، وجوب وجود ضمير في الأفعال. وقد تحدث عن الفعل السالم والمعتل، وأنواع المعتل في فقرة خاصة لم يسمّها فصلاً.

- الحرف: عرضه في ثلاثة فصول، هي الحروف، حروف تُسمّى "أسماء الإشارة"، اتصال الحروف بالضمائر.

- في الصرف الفارسي والكردي:

تشتمل موضوعات الصرف الفارسية والكردية في الكتاب على:

- مقدمة موجزة.
- الفعل الماضي والمضارع والأمر.
- المصدر واسم الفاعل واسم المفعول.
- النهي.
- ضمائر الغائب، وضمائر الحاضر.
- الاسم؛ من حيث العدد والجنس.
- أسماء الإشارة.
- أسلوبا النداء والاستفهام.
- الإضافة، النسبة.

4-2- تصريف الترمماخي:

يُعرف باسم " تصريف الترمماخي في علم الصرف"، أو " تصريف الكردي"، أو " شرح تصريف العزّي للترمماخي"، أو " شرح تصريف العزّي باللسان الكردي".²³

إنه شرح علي ترمماخي (باللغة الكردية) على التصريف العزّي لعز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني. وقد نُشر مؤخراً اعتماداً على نسخة للشيخ محمد مظهر الأوخيني، تعود إلى سنة 1959م؛ كما جاء في آخره، إذ يقول الناسخ في الخاتمة: قد تم تصريف الكردي بيد المذنب مظهر عُنِي عنه أمين في سنة هجري 1378 ميلادي 1959 رومي 1374 في شهر رمضان المبارك بعد ما مضى منه 12 يوماً.

وقد عُنِي بتصحيحه وإعداده للنشر محمد نذير الزازا. يقول في خاتمته: تمّ تصحيح شرح تصريف العزّي بلسان²⁴ الكردي لمولانا ملا علي الترمماخي²⁵ رحمه الله في أول ليلة شهر رمضان المبارك من شهور سنة (1434) هجرة.

وشرحه موسّع شغل أكثر من منّي صفحة، وينمّ على استيعاب دقيق لعلم الصرف، وبراعة في عرض مباحثه بأسلوب مبسط، ووفق ترتيب دقيق يخدم المتعلمين. وقد زوّده بأمثلة وفيرة مفيدة، واستشهد بشواهد من الشعر أحياناً.²⁶

²³ محمد نذير الزازا (إعداد)، المجموعة المنهجية أو تصريف الترمماخي في علم الصرف. مكتبة الزنكية - مكتبة المنهاج، ديار بكر، 2014م. الغلاف، والصفحات: 6، 49، 260.

²⁴ هكذا جاء في الأصل.

²⁵ هكذا جاء في الأصل.

²⁶ محمد نذير الزازا (إعداد)، المجموعة المنهجية أو تصريف الترمماخي في علم الصرف. ص. 259-260.

خاتمة:

إن جهود علي ترماعي تشكل مثلاً على مدى اهتمام الكرد باللغة العربية منذ زمن مبكر. ولعلّه من المفارقات أن يكون أقدم كتاب نثري باللغة الكردية، معروف حتى الآن، هو عن اللغة العربية، مع لمحات عن اللغتين الفارسية والكردية.

ويمكن القول إن كتابه الأول ليس متميزاً من حيث مضمونه العلمي (اللغوي)، فهو تعليمي مبسّط لا يضمّ سوى معلومات أساسية عن عدد كبير من مباحث الصرف، ولكنه يتميز باحتوائه على لمحات مفيدة في مجال البحث اللغوي المقارن، ويؤسّس للتوسّع في هذا المجال الذي لم يكن مطروحاً في عصر المؤلف بين العرب أنفسهم. كما يتمتع بأهمية خاصة في تاريخ اللغة والثقافة الكردية؛ لأنه أول عمل معرفي نثري مدوّن باللغة الكردية (اللهجة الكرمانجية) ويعود إلى 1000هـ/ 1591م، وهو بذلك يعاصر ملاي جزيري (1050-975هـ/ 1640-1567م) الذي تُعدّ أشعاره أقدم ما وصلنا من الشعر الكردي (الكرمانجي).

أما كتابه الثاني فهو شرح على التصريف العزّي لعبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني، اعتمد فيه على معرفته الشخصية، سعى فيه إلى مزيد من التبسيط، ولم يتناول الآراء المتعددة في عدد من المسائل الصرفية.

إن علي ترماعي يظهر في عمله تمكناً في علم الصرف، وكفاءةً في تعليمه؛ ولا سيما لمن لا تكون العربية لغته الأم. وينبّه الطالب مراراً إلى ضرورة الاستزادة والتوسّع في أمّهات الكتب العربية. ولعلّه من المثير للانتباه خلوّ الكتاب من شواهد القرآن الكريم، رغم أنه مخصص للتعليم في مدرسة دينية إسلامية.

مراجع البحث

المراجع العربية:

- أحمد، محمد أحمد، أكراد الدولة العثمانية، تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1880-1923م، منشورات سبيرييز، دهوك، 2009.
- البديسي، شرف خان، شرفنامه، ترجمة محمد جميل الملا أحمد الروزياني، دار المدى للثقافة والنشر، ط 3، دمشق، 2007.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- التفتازاني، مسعود بن عمر سعد الدين، شرح مختصر التصريف العزّي في فن الصرف، شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم، ط 8، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1997.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، 1993.
- الزازا، محمد نذير (إعداد)، المجموعة المنهجية أو تصريف الترماعي في علم الصرف، مكتبة الزنكية - مكتبة المنهاج، ديار بكر، 2014.

- سركيس، يوسف اليان، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1965.
- شيركو، بله ج، **القضية الكردية. ماضي الكرد وحاضرهم**، القاهرة، 1930.
- رشيد فندي، **علي الترمماخي أول لغوي وناثر كردي**، بغداد، 1985م.
- كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربية**، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1993.
- لوسي بول ماركريت و(ك.أ.ب)، **دراسة في الشعر الكردي**، ترجمة رفيق حلمي، بغداد، 1939.

المراجع الكردية:

- Adak, Abdurrahman, **Di Elîfbêya Kurdî-Erebî de Rênivîsên Klasîk û Nûjen**, Mulemma 2, Mardin Artuklu Üniversitesi, 2013, 63-75.
- Epözdemir, Şakir, **Medreseyan Kurdistanê**, Nûbahar, Istanbul, 2015.
- Kurdo, Qanatê, **Tarîxa Edebyeta Kurdî. I**, Weşanên Roja Nu, Stockholm, 1983.
- Orbelî, Î. A., **Li Muksê Folklore û Jiyana Rojane**, Amadekar: Sinan Hakan, Wergera ji Rûsî: Têmûrê Xelîl, Nûbihar:82, Istanbul, 2011.
- Zinar, Zeynelabidin, **Xwendina Medresê**, Pencînar, Stockholm, 1993.
- خزنده دار، معروف، **عه لى ى ته ره ماخى: دستورى زمانى عه ره بى به كوردى**. چاپخانه ى دار الزمان، به غدا، 1971.

المراجع الأجنبية:

- Beder-Khan, Sureya, **La Literature Populaire et Classique Kurde**, Paris, 1936.
- Van Bruinessen Martin, **Kurdistan in the 16th and 17th centuries as reflected in Evliya Çelebi's Seyahatname**, The Journal of Kurdish Studies 3, 2001, pp. 1-11.
- Jaba, Aleksandre, **Recueil de Notices et Recits Kourdes**, Petersbourg, 1860.
- Minorski,V., **Kurd**, The Encyclopaedie of Islam, Vol.II, London,1927, pp.1130 -1155.